Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للفاعل في كل فعل يمارسه على كشف صورته الخاصة به». فُهِمَ الفعل في البدء على أنه اللوحة الذاتية للفاعل. لكن ديدرو، بعد أربعة قرون من بوكاشيو، كان أكثر شكاً: إذ يفتن بطله جاك القدري خطيبةَ صديقه ويسْكَرُ من السعادة، لكن أباه يضربه. وتمرُ كتيبة عسكر فيلتحق بها، ويتلقى رصاصة في ركبته عند أول معركة تجعله يعرج حتى موته. كان يظن أنه يبدأ مغامرة غرامية في حين أنه كان يتقدم في الواقع نحو عاهته. ومن ثم فإنه لم يستطع أبداً أن يتعرف ذاته في فعله. إذ انفتح بينه وبين الفعل شق. يريد الإنسان أن يكشف بـ«الفعل» عن صورته الخاصة به، لكن هذه الصورة لا تشبهه. إن الطابع المعقد للفعل هو أحد اكتشافات الرواية الكبرى. ولكن إذا لم يكن بالإمكان إدراك الأنا في الفعل، فأين وكيف يمكن إدراكها؟ ها هنا تأتي اللحظة التي توجّب فيها على الرواية في بحثها عن الأنا أن تهمل عالم الفعل المرئي لتعكف على اللامرئي في الحياة الداخلية. إذ سيكتشف ريتشاردسون في منتصف القرن الثامن عشر شكل الرواية القائم على الرسائل حيث تعترف الشخصيات بأفكارها وبمشاعرها.

* أي ولادة الرواية السيكولوجية؟

** لنتلاف هذه الكلمة التقريبية وغير الصحيحة ولنستخدم بدلها هذه الجملة الوصفية: لقد أطلق ريتشاردسون الرواية على طريق استكشاف الحياة الداخلية للإنسان. ونحن نعرف كبار من تابعوا مساره: غوته في آلام فيرتر وكونستان ثم ستندال وكتّاب عصره. وتتواجد قمّة هذا التحول فيما يبدو لي لدى كل من بروست وجويس. لكن جويس يحلّل شيئاً أكثر استعصاء على الإدراك من «زمن بروست الضائع»: اللحظة الحاضرة. ليس ثمة في الظاهر ماهو أكثر وضوحاً